"بلاغة الحجاج في مقامات بديع الزمان الهمذاني"
"المقامة العلمية نموذجاً"

د/ عايدة عبد العزيز محمد زعلوك

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالزقازيق – جامعة الأزهر

بلاغة الحجاج في مقامات بديع الزمان الهمذاني "المقامة العلمية نموذجاً"

عايدة عبد العزيز محمد زعلوك
مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق – جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: ayida.abdelaziz@azher.edu.eg

ملخص البحث: الحجاج له بدايات منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، ثم عند العرب والمسلمين، ولهم العديد من المؤلفات في هذا المجال، تناول البحث (بلاغة الحجاج في مقامات بديع الزمان الهمذاني) "المقامة العلمية نموذجاً".

فالمقامة نصها حجاجي وضحت فيها ما تضمنته المقامة من أسرار بلاغة الحجاج، هدفها إقناع المتلقي، والتأثير فيه، وهذا يشير إلى جوهر نظرية الحجاج، –وهي دراسة آليات الحجاج وبيان وظيفة الآليات الحجاجية– التي ظهرت حديثاً على يد "بيرلمان وتيتكا" بوصف الحجاج البلاغة الجديدة.

الكلمات المفتاحية: بلاغة الحجاج– المقامة العلمية– بديع الزمان الهمذاني.

the rhetoric of the pilgrims in the shrines of Badi 'al-Zaman al-Hamdhani) "The Scientific Standing as a Model"

Aida Abdel Aziz Mohammed Zaalouk
Lecturer of Rhetoric and Criticism at the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Zagazig - Al-Azhar University - Egypt.
Email: ayida.abdelaziz@azher.edu.eg

Abstract: The pilgrims have beginnings since the fifth century BC, then among the Arabs and Muslims, and they have many books in this field. The research deals with (the rhetoric of the pilgrims in the shrines of Badi 'al-Zaman al-Hamdhani) "The Scientific Standing as a Model"
The maqamah is an Hajjaj text, in which it clarifies the secrets of the pilgrims' rhetoric in the maqamah, aiming to persuade the recipient and influence it, and this indicates the essence of the pilgrim theory - which is the study of pilgrims ’mechanisms and the function of the pilgrim mechanisms - which appeared recently by“ Perelman and Titka ”describing the pilgrims with the new rhetoric.
Kay words: the rhetoric of the pilgrims - the scientific establishment - Badi 'al-Zaman al-Hamdhani.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد – ﷺ–، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...؛

فالحجاج عملية استدلالية، مؤيدة بالحجج؛ لإثبات أو نفي فكرة، وهدفها التسليم بما يعرض على المخاطب والحقيقة أن بدايات الحجاج ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد لدى السوفسطائين؛ لأنهم كانوا يعقدون النقاشات بطرائق إقناعية؛ كما تكلمت البلاغة العربية عن الحجاج؛ لأن هدفها الكشف عن المعنى المراد ؛لقصد الفهم والإقناع ،وقد ظهر الحجاج حديثاً على يد بيرلمان وتيتكا بوصفه البلاغة الجديدة ، وأصدرت حوله مؤلفات، وموضوعه دراسة تقنيات الخطاب؛ لغرض التسليم والإقناع.

وهذا البحث "بلاغة الحجاج في مقامات بديع الزمان الهمذاني" "المقامة العلمية نموذجاً" تكمن أهميته في تقديم نظرية الحجاج بوصفه البلاغة الجديدة، وغاياته قصد التأثير في المتلقي وإقناعه.

وقد اخترت هذا الموضوع؛ لجدة الموضوع، ولأن المقامة اشتملت آليات الحجاج البلاغي؛ فنصها حجاجي هدفه إقناع المتلقي ، ولأن عمق النص البلاغي يصل ببلاغة الحجاج إلى بلاغة دقيقة بين أجزاء الكلام.

هدف البحث: تجلية مواطن الحجاج في المقامة ،وتوضيح ما تضمنته من أسرار بلاغة الحجاج للتأثير والإقناع.

الدراسات السابقة لم أقف على كتاب أو دراسة –بحسب علمي– تناولت الموضوع وأحاطت ببلاغة الحجاج في المقامة العلمية، ومن أبرز الدراسات السابقة "مقامات بديع الزمان الهمذاني بين الصنع والتصنع" إعداد صدام حسين محمود عمر جامعة النجاح الوطنية.

الجديد في البحث: تجلية آليات وبلاغة الحجاج في المقامة. ومنهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي، والدراسة في البحث جاءت على النحو التالي:

مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وثبت المصادر والمراجع.

- المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والجديد في البحث، والمنهج الذي بني عليه البحث، وذكرت فيها خطة البحث.
- المدخل: ويشمل على:

أولاً: التعريف بالكاتب "بديع الزمان الهمذاني".

ثانياً: التعريف بالحجاج قديماً وحديثاً.

ثالثاً: تعريف المقامة في اللغة والاصطلاح .

- المبحث الأول: بلاغة حجاج أساليب علم المعاني في المقامة العلمية:

١-الاستفهام ٢- النداء ٣- التكرار ٤- القصر ٥- الفصل والوصل

- المبحث الثاني: بلاغة حجاج التصوير البياني في المقامة العلمية:

١- التشبيه ٢- المجاز المرسل ٣- الاستعارة ٤- الكناية

- المبحث الثالث: بلاغة حجاج المحسنات المعنوية واللفظية في المقامة العلمية:

١- براعة الاستهلال ٢- المقابلة ٣- مراعاة النظير ٤- التفويف

٥- الجناس ٦- السجع

- الخاتمة: ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

وثبت للمصادر والمراجع. وثبت للمصادر والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المدخل

أولاً : تعريف بديع الزمان الهمذاني

ثانياً : مفهوم الحِجَاج قديماً وحديثاً

ثالثاً : تعريف المقامة في اللغة والاصطلاح:

أولاً : تعريف بديع الزمان الهمذاني

"هو أبو الفضل أحمد بن الحسن بديع الزمان الهمذاني ،نشأ بهمذان إحدى مدن فارس الشمالية، درس العربية والأدبي وبرع فيهما، ثم غادرها سنة ثمانين وثلاثمائة، وهو الفتى السن غض الشباب، وقد درس علي أبي الحسين ابن فارس، وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنزف علمه، واستنفد بحره، ... قدم جرجان، وأقام بها مدة ... وأختصه أبو سعد محمد بمزيد من الفضل وإسداء المعروف.

اعتزم نيسابور، وشد إليه رحله، وأعانه أبو سعد بمزيد من الفضل وإسداء المعروف، وأحسن إمداده ... أظهر طرزه ،وأملى

أربعمائه مقامة ... ثم شجر بينه وبين أبي البكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني، وعلو أمره ،وقرب نجحه، وبعد صيته إذ لم يكن في الحسبان أن أحداً من الأدباء، والكتاب والشعراء، ينبري لمباراة الخوارزمي ...، فلما تصدى البديع لمساجلته، وجرت بينهما مكاتبات ومناظرات ومناضلات ... طار ذكر الهمذاني.

وارتفع عند الملوك والرؤساء، ثم مات الخوارزمي ،فخلى له الجو فحسنت حاله، ورقت عيشه ... وانتظمت أحواله، وقوى ساعده لكن المنية عاجلته، وهو في سن الأربعين سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة."(١)

(١) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني شرحها ووقف على طبعها محمد محي الدين، مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر ٣٤٢ هـ، ١٩٢٣م، ص٣، ٤، ٥.

ثانياً: مفهوم الحِجَاج قديماً وحديثاً

الحِجَاج في اللغة: (يقال حِاججته أحاجه حجاجاً ومحاجه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... والحجة: البرهان؛ ... والتحاج: التخاصم)[١].

وعند الخليل بن أحمد هو: "وجه الظفر عند الخصومة والفعل حاججته، واحتججت عليه بكذا، وجمع الحجة الحجج والحجاج المصدر".[٢]

قال الأزهري: "التحاج التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، ... إنما سميت حجة لأنها تحج أي تقصد لأن القصد لها وإليها والحجة: الدليل والبرهان".[٣]

وقد أكد ابن فارس في مقاييسه أن: "الحاء والجيم أصول أربعة، والجمع حجج والمصدر الحجاج..."[٤].

الحجاج اصطلاحاً: عرفه الإمام عبد القاهر بقوله: "الحجة ما دل بها على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد".

وعرفه أيضاً بقوله: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهه أو يقصد بها تصحيح كلامه" وارتبط تعريف الحجاج في الاصطلاح بمعناه اللغوي ارتباطاً كبيراً من حيث إن الحجاج هو تقديم البراهين الأدلة والحجج المؤدية إلى نتيجة معينة.

وقيل هو "إيراد حجة المطلوب على طريقة أهل الكلام وذلك أن يكون بعد تسليم المقدمات للمطلوب وهذا ما نجده في كتاب الله وكلام العرب ...[٥]

---

(١) لسان العرب مادة حجج .

(٢) العين الخليل بن أحمد الفراهيدي مادة (حجج).

(٣) لسان العرب مادة (ح. ج. ج)

(٤) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ٢٩/٢ ط ٢ مصطفى البابي ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ١٩٦٩م.

(٥) مصطلحات النقد العربي القديم ٤٦ ط ١/ د / أحمد مطلوب.

ويرى البعض أنه: "كل منطوق موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض".[١]

من خلال ما سبق نلاحظ التلازم بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، فالحجاج هو: كل قول موجه للغير لإفهامه هذا القول، ويحق له الاعتراض عليه، فارتبط المعنى الاصطلاحي بمعناه اللغوي من حيث إن الحجاج هو تقديم البراهين والأدلة والحجج المؤدية إلى نتيجة معينة.

١) الحجاج في الفكر اليوناني القديم:

١. السوفسطائيون :

اهتم السوفسطائيون بـ (كل من الكلمة والجملة وبحثوا في السبل التي بهما يتحقق الإقناع وتتغير مواقف الآخرين).[٢]

وقد بين ابن رشد في (تلخيص السفسطة) ما تقوم عليه المخاطبات من مقاصد مغالطة فقد أجملها في خمس غايات هي: تبكيت المخاطب وتغليطه، التشنيع على المخاطب، التشكيك أي يشككه في خطابه وفي اعتقاده، استغلاق الكلام واستحالته، سوق الهذر والتكلم بالهذيان.[٣]

٢. الحجاج عند أفلاطون:

كانت نظرة أفلاطون للبلاغة على (أساسين: أحدهما قائم على مبدأ الهدم، والآخر قائم على مبدأ البناء) فهو من جانب يرفض كل أشكال البلاغة القائمة على الرأي العام التي تمارس سطوتها في تأسيس الآراء والمعتقدات، كما يؤكد خطورتها في المجتمع بشكل عام، فهي لا تسمح نهائياً بإنتاج الرأي والرأي المضاد، ومن جانب آخر فهو يقبل تلك البلاغة التي قوامها الحوار

(١) المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ٢٢٥ ، ١٩٩٨.
(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة صـ ٢٥.
(٣) تلخيص السفسطة صـ ١٣، ابو الوليد بن رشد.

الثنائي الذي يتم بين العلماء والمختصين ومن كافة الطبقات من أجل الاحتكام إلى المعرفة والتماس الحقيقة بعيداً عن سلطة القهر والإلزام والمغالطة.(١)

فالجدل عند أفلاطون هو وسيلة لنقل الحجاج من الظن إلى الاحتمال، فرؤية أفلاطون للحجاج كانت مبنية على الأخلاق والمثل وخاضعة لمعياري الحق والخير.

٣. الحجاج عند أرسطو:

عرض أرسطو دور الحجاج في كتابه "المواضع".

الحجاج عند أرسطو هو وسيلة تفكير للوصول إلى الحقيقة عن طريق الحوار البناء.

٢) الحجاج عند القدماء العرب :

الحجاج له دور كبير في الحياة السياسية عند المسلمين العرب ولهم العديد من المؤلفات في هذا المجال .

١- **عند الجاحظ** من أهم ما قيل في مفهوم البلاغة ما أشار إليه الجاحظ في قول بعض أهل الهند: (جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ...

ثم قال: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضرار عنها صفحاً أبلغ في الدرك وأحق في الظفر)، وضح لنا الجاحظ بعض البصر بالحجة وهي الكناية والبصر بالحجة طريقة في التقاء الحجج أثناء العملية مع مراعاة المقام.

وأيضاً ما جاء عن الجاحظ المتوفى (٢٥٥ هـ): "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ

(١) مدخل إلى الحجاج (أفلاطون وأرسطو ونايم بركات) صـ ٢٢ – ٢٣، د / محمد المولى، مجلة عالم الفكر، مجلد (٤٠)، عدد (٢) أكتوبر – ديسمبر ٢٠١١م.

متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة.(١)

جعل الجاحظ الغاية من الحجاج في وظائف البلاغة من حيث إن البيان (هو اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأن مدار الأمر وغايته ... إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان عن الموضوع.(٢)

فالبيان هنا هدفه تحقيق الفهم والإفهام وتحقيق المعنى وهذا ما أكده د/ محمد العمري بقوله: (إن مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإلهام ... بالوسائل اللغوية ... خاصة (٣)

ولم يقتصر الجاحظ في البيان على تحقيق الفهم والإفهام بل أظهر الوظيفة للبلاغة ورعى المقام ومقتضى الحال؛ لأن (لكل طبقة كلاما ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.(٤)

وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ فيه ما يثبت الحجاج (أن شيخ من الأعراب تزوج جارية من قومه طمعاً في الغلمان فلما أنجبت جارية تركها وتزوج بغيرها وذات يوما مر بخبائها وهي تهدهد بنيتها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

---

(١) البديع ص٦٩ عبد الله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

(٢) البيان والتبين للجاحظ ١١٥ وما بعدها، جـ١، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ١٩٩٨ م.

(٣) البلاغة العربية الأصول والامتدادات ص١٩١.

(٤) البيان والتبين جـ١، ص١٣٨.

غضبان أن لا نلد البنين تالله ما ذاك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فلما سمع الأبيات أثرت فيه وجعلته يعدل في سلوكه متجهاً إلى الخباء مقبلاً عليهما معتذرا لهما بقوله: (ظلمتكما ورب الكعبة).[١]

وترى ظهور بلاغة الحجاج عند الجاحظ في رواياته إلى إسحاق بن حسان بقوله: "لن يفسر البلاغة تفسير بن المقفع أحد قط سئل ما البلاغة؟ قال البلاغة: اسم جامع لمعاني تجرى في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً."[٢]

بالإضافة إلى كتب الجاحظ التي دافع فيها عن الحوار وشرح نظرياته من خلال بلاغة الحجاج والإقناع، فاهتم الجاحظ بالخطاب والحجاج والاستدلال أكثر من الجانب الفني والجمالي؛ لأن الخطبة ارتبطت منذ نشأتها إلى يومنا هذا بمقاصد نفعيه.

٢- **أبو هلال العسكري** : وصف أبو هلال العسكري الحجاج: (أنه كثير في كلام القدماء والمحدثين وهو أحسن ما يتعاطي من أجناس صيغة الشعر ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى فهو أن يأتي بمعنى ثم يؤكده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته)[٣].

وضح أبو هلال الاحتجاج بأنه معنى أول يمثل الدعوة التي يراد الاحتجاج لهما ثم يتبع هذا المعنى معنى آخر وهو الحجة ،فيكون استشهاداً

---

(١) ينظر في كتاب (الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري) ص٧٠، ٧١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١١٤ ، جـ١.

(٣) الصناعتين أبو هلال العسكري ص٢٠ – ٢٢.

على صحة المعنى الأول، ويستلزم من حضور الحجة تأثير المتكلم في المتلقي.

وقد أفرد أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" وهو الفصل الحادي والثلاثون بعنوان:

"في الاستشهاد والاحتجاج "ليؤكد الحجاج البلاغي، ودوره في الإقناع فيقول: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين وهو أحسن ما يتعاطي من أجناس سمعه ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته."(١)

أشار أبو هلال العسكري إلى الحجاج في تعريفه للبلاغة بقوله: (كل ما تبلغ المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن)(٢).

فأشار أبو هلال إلى الحجاج بقوله: (تمكنه) فهي إشارة إلى وجود حجة ظاهرة بالغة لحصول التمكين، وقال أيضاً: (التقرب من المعنى البعيد والتباعد من حشو الكلام وقرب المأخذ ... وقصد إلى الحجة وحسن الاستعارة)(٣)، فأشار أبو هلال إلى الحجاج بقوله: "قصد إلى الحجة".

٣- **السكاكي :**

جعل الحجاج في علم الاستدلال في كتابه (مفتاح العلوم) حيث قال: (اكتساب إثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بواسطة تركيب الجمل)(٤).

قسم السكاكي كتابه على أساس منطقي إلى ثلاثة علوم: "علم الصرف – علم النحو – علم البلاغة"، وقسم البلاغة إلى علوم ثلاثة هي: "المعاني

---

(١) الصناعتين ص ٣٨٣.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص١٦.

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٥ ، ٤٦

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٤٣٨ ، ط ٢٠، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٥٧.

والبيان والبديع" ثم وسع علاقة علم البيان بالمنطق فأصبحت البلاغة مرتبطة بالنحو والمنطق.

والاستدلال بحث من مباحث علم المنطق ويختص بإقامة دليل لإثبات المطلوب وهو الخبر، والخبر في علم المنطق هو الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب.

ربط الإمام السكاكي الحجاج بالبلاغة من خلال الاستدلال عبر الملازمة بين المعاني على نظام استدلالي في علمي "المعاني والبيان" قسم البلاغة على أساس منطقي فـ (علم المعاني يستهدف البحث عن كيفية تجنب الأخطاء والاستهجان في تأدية المعنى من خلال كلام معين، ويستهدف علم البيان عن كيفية تجنب أوجه الغرابة والتعقيد في الكلام، بينما ينصب علم البديع على تحسين الكلام وإطفاء جمالية التعبير عليه ... البلاغة إذن هي الطريقة والوسائل المتبعة في الكلام حتى تنفذ معانيها إلى عقل السامع وقلبه وما يقتضيه ذلك من وضوح ومحسنات وإبانة وإظهار وإقناع.

ربط السكاكي بين الاستدلال والبلاغة من خلال الانتقال من لازم إلى ملزوم كما في الكناية (انتقل فيه من اللازم إلى الملزوم كما تقول : فلان طويل النجاد– المراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد فلا تصدر إلى جعل النجادِ طويلاً أو قصيراً إلا بكون القامة طويلة أو قصيرة.[١] "أو من ملزوم إلى لازم كما تكون دعينا غيثنا والمراد النبت.[٢]

ويرى السكاكي أن الاستدلال البلاغي هو: (عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهداً أو مثالاً على شيء أو صفة من صفاته) والاستدلال في علمي البيان والمعاني ،فالبيان عنده قائم على بنية الحجاج؛ لأن البيان عنده (مطابقة الكلام لتمام المراد منه)[٣]

(١) مفتاح العلوم السكاكي ص٣٣١.
(٢) مفتاح العلوم ص٣٣٠.
(٣) مفتاح العلوم ص٥٤٢.

فالكلام لا يقف عند البلاغة الوضعية بل يتجاوزها إلى الدلالة العقلية فـ (إيراد المعنى الواحد على صورة مختلفة لا يأتي إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما لآخر بوجه من الوجوه ظهر أن علم البيان مرجعه الملازمات بين المعاني)[١].

فالطريق الذي سلكه السكاكي في البيان عبر الاستدلال كان من خلال دعوة الشيء ببينة فترى السكاكي جعل البيان قائماً على اللزوم والاستدلال.[٢]

٤- حازم القرطاجني :

قال حازم القرطاجني: (ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها – أي في الخطابة –تابعة لأقاويل مقنعة مناسبة لها مؤكدة بمعانيها وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة)[٣]

عرف حازم القرطاجني الإقناع بقوله: (إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده)[٤].

فالغاية من البلاغة عنده هي تأثيرية إقناعية:

فجعل حازم القرطاجني الحجاج وجه من أوجه الكلام فقال: (لما كان كل الكلام يحتمل الصدق والكذب إما يرد على جهة الأخبار والاختصاص وإما يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال).[٥]

إذا صدق وكذب القول يعتمد على إقناع المرسل للمتلقي ... والاستدراج وهذه الاستراتيجيات المقدمة من أجل الإقناع والتسليم قال:

---

(١) مفتاح العلوم ص ٣٣٠.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٦.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٩٢ / تحقيق الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ٢٠٠٨.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٠٦.

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ١٠٦

(الاستراتيجيات قد توجد في كثير من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتبار المخاطبات التي تحتاج إلى تقوية الظنون في شيء ما ... بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتدريج في احتذائها)[١].

جعل حازم القرطاجني استمالة المتلقي بعدة طرق لأجل الإقناع.

٥- ابن وهب:

وضع ابن وهب مبحثاً للجدل أو الحجاج في كتابه (البرهان في وجوه البيان) في وصف كلا منها – الجدل والحجاج (المراد منه إقناع الخصم وإلزامه الحجة وهذا المعنى قار في المعنى اللغوي للجدل كما هو قارن في معناه اصطلاحي سواء أخذناه عن البلاغيين أو الفلاسفة ...[٢]، فتحدث ابن وهب عن مباني الحجاج وذكر أنه لابد (أن تبنى مقدماته مما يوافق عليه الخصم)[٣].

وقد تطرق ابن وهب إلى تفاصيل مهمة في الحجاج ولمحنا في هذا الكتاب آثار الاتجاه العقلي ... والعقائدي من خلال تقسيمه صور التعبير ودرجات البيان ومراتب البلاغة (فهو لم ينظر إلى البيان بوصفه قضية بلاغية بحسب وإنما قضية منطقية أيضاً تعتمد على الاستدلال وإقامة الحجة.[٤]

٦- الإمام عبد القاهر الجرجاني:

أشار الإمام عبد القاهر إلى الحجاج بقوله: (ينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه ويستقصى التأمل بما أودعناه فإن علم أن الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان تبع الحق).[٥]

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص ٦٤.

(٢) البرهان في وجوه البيان ص٢٤٢ ،إسحاق بن وهب الكاتب .

(٣) البرهان في وجوه البيان ص ٢٤٢.

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ٨٧ لابن وهب.

(٥) دلائل الإعجاز ص٤٩ عبد القاهر الجرجاني.

ربط الإمام عبد القاهر الجرجاني الحجاج بالاستدلال من خلال قوله: (معنى المعنى) إذ يرى الكلام على ضربين (ضرب أنت تصل منه إلى الغرض لدلالة الفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج عن الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس، وضرب أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجلى لذلك المعنى دلالة ثانية تصل إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل).[١]

فالكلمة تحمل أوجه عديدة حسب مقتضى الكلام والدلالة ثم يقول: (أو لا ترى أنك إذا قلت هو كثير رماد القدر أو قلت طويل النجاد أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى فأنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك كمعرفتك من "كثير رماد القدر "أنه مضياف ومن" طويل النجاد "أنه طويل القامة ومن "نؤوم الضحى "في المرأة أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها وكذلك تعلم في قوله: (بلغني أنك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى أنه أراد التردد في أمر البيعة، واختلاف العزم في الفعل والترك.[٢]

فالإمام عبد القاهر الجرجاني جعل البيان قائماً على آلية استدلالية ،شكل الدال والمدلول طرفها حيث تطلب الغوص في المعنى الظاهر للوصول إلى المعنى المراد وعملية الانتقال هذه هي الاستدلال الذي يأخذ من المعنى الأول دليلاً على المعنى الثاني مثل ما استدل على "كثير رماد القدر" على أنه

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٦٢
(٢) دلائل الإعجاز ص٢٦٢

مضياف ومن "طويل النجاد" على أنه طويل القامة فهذا الأمر عملية استدلالية.

٣) الحجاج عند الغرب :

في القرن التاسع عشر ظهر كتاب (مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة) وهو لـ "شاييم بيرلمان وأولبريخت تيتكا" والكتاب من أكثر وأشهر الكتب في مصنفات الحجاج، وقد شغل الحجاج بوصفه البلاغة الجديدة الباحثين وأصدرت حوله مؤلفات وقد عرف بيرلمان وتيتكا الحجاج بأنه (درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة التسليم).[١]

فالحجاج يدرس الآليات والتقنيات الخطابية التي تجعل المتلقي يسلم بما يعرض عليه من إثبات أو نفي حجة، ولذلك فـ (غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الاذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الاذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب.

أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العلم في اللحظة المناسبة)[٢].

لم يعتبر بيرلمان التأثير هو الوظيفة الأساسية للبلاغة بل الإقناع فلابد من مراعاة المقام الحجاجي أو مقتضى الحال ولابد من تكثيف الخطاب مع مقامات المخاطبين.

وصف بيرلمان وتيتيكا الحجاج "بأنه وسيلة إقناع وهذا يشير إلى جوهر نظرية الحجاج وهي دراسة آليات الحجاج وبيان وظيفة وغاية الآليات الحجاجية، ميز بيرلمان نوعين من الحجاج:

(١) نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات ص ١٣ عبد الله صولة.
(٢) نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات ص١٣ عبد الله صولة.

١) الحجاج الإقناعي. ٢) الحجاجي الإقتناعي .

١. **الحجاج الإقناعي:** وهو لإقناع نوع خاص من الجمهور يجنح إلى العاطفة والخيال ولذلك لا يفصح المجال أمام العقل لحرية الاختيار.

٢. **الحجاج الإقتناعي:** (فهو يقوم على الحرية والعقلية) [١] الحرية والعقلية أي التسليم بما يقال باطمئنان لذا اعتبر الحجاج الإقتناعي أساس الحجاج.

فإذا كان أرسطو وضع اللبانات الأولى للدرس البلاغي، فإن بيرلمان استوعب جهود أرسطو وتطلع إلى العلوم الإنسانية وطورها؛ ليصل إلى مفهوم الحجاج، وأهدافه ومميزاته، وجعل من البلاغة أداة لتفسير وتحليل الظواهر الفلسفية والقانونية.

صلة البلاغة بالحجاج : ليست البلاغة تشبيهات واستعارات ومحسنات وزخارف فقط بل هي ذات صلة بالحجاج ووسيلة للإقناع فهي تبحث في الخطاب من أجل الإقناع، وهدف الحجاج هو: الإقناع والتأثير.

(١) الحجاج في البلاغة المعاصرة ١٠٩.

ثالثاً : تعريف المقامة في اللغة والاصطلاح:

المقامة هي لغة من مادة (ق و م) لها معنيان في لسان العرب "المجلس والجماعة من الناس"(١) وكلمة المقامة تدل على المجلس.

وفي القرآن الكريم في قوله تعالى: **(أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا)** سورة مريم آية ١٣ .

وقوله تعالى: **(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم)** سورة الدخان آية ٢٥، ٢٦.

(فالمقام الكريم) هو المنبر، وقيل هو المكانة الحسنة.(٢)

ثم "تطور مدلول اللفظ من الدلالة على المجلس أو الجماعة من الناس؛ للدلالة على العظة أو الخطبة الأخلاقية ينشدها رجل بين يدي الخليفة والأمير، وكان أصحاب هذه الخطبة والمواعظ يسعون للتأثير على مستمعيهم، فاعتمدوا لذلك لغة رشيقة".(٣)

اصطلاحاً: "المصطلحات الأدبية تدل على (درب من السرد تسند إلى راوي يحكي عن بطل ... يتشكل من مجموعة أفعاله وأقواله سواء تدخل الراوي أولم يتدخل"(٤)

وعرفها د/ يوسف نور عوض: (قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني ... لها راوي، تقوم على حدث مغزاها مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لوناً من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية.(٥)

---

(١) لسان العرب (ق و م) .

(٢) لسان العرب ابن منظور مادة (ق و م)، صـ ٢٩٩ ، جـ١ ، ٢٠٠٣م.

(٣) بديع الزمان الهمذاني " مصطفى الشكعة) الدار المصرية اللبنانية.

(٤) السرد والشفاهية دراسة في مقامات الهمذاني – ص ١٤ ، عمرو عبد الواحد – للنشر والتوزيع طـ٢ ، ٢٠٠٣م.

(٥) فن المقامات بين المشرق والمغرب ، دار القلم – بيروت صـ٨ ، طـ١ ، ١٩٧٩ م.

وقيل هي: "جنس أدبي يتخذ الشكل السردي نسيجاً له ومن الشخصيات مكررة الوجوه ومختلفة الأدوار وطريقة الطباع"(١).

المقامة العلمية(٢)

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطارِحِ الْغُرْبَةِ مُجْتازاً، فإذاَ أنا بِرَجلُ يَقُولُ لِآخَرَ: بِم أدْرَكْتَ الْعِلمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ قالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ، لا يُصطَادُ بِالسِّهامِ، وَلاَ يُقْسَمُ بِالْأَزْلامِ، وَلا يُرَى في الْمَنامِ، وَلا يُضْبَطُ بِالِّلجامِ، وَلا يُورَثُ عَنِ الأعمَام، وَلا يُسَتَعارُ مِنَ الْكِرامِ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْه بِافتِرَاشِ الْمدَرِ، وَاسْتِنادِ الْحَجَرِ، وَردُّ الضِّجّرِ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ، وَإِدْمانِ السَّهَرِ، وَاصطِحَابِ السفَّرَ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإِعْمالِ الفِكَر، فَوَجَدْتُهُ شيئاً لا يَصْلُحُ إلاَّ لِلغَرْسِ، ولايُغْرَسُ إلاَّ في النَّفْس، وَصَيداً لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْرِ، وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر، وَطائَراً لا يَخْدَعُهُ، إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ وَلا يَعْلَقُهُ إلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ، فَحَمَلْتُهُ عَلى الرُّوح وَحَبَسْتُهُ عَلى الْعَينِ، وَأَنْفَقْتُ مِن الْعَيْشِ وَخَزَنْتُ في الْقَلْبِ، وَحَرَّزتُ بِالدَّرْسِ، وَاسْتَرحْتُ مِن النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ، وَمِنّ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقَ، وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ، فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغلَ فِي الصَّدْرِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هذِه الشَّمْس؟ فَجَعَلَ يَقُولُ:

إسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لوْ قَرَّ فِيها قَرَارِي
لكِنَّ بِالَّشامِ لَيَّلي وَبِالُعِراقِ نَهَارِي

(١) بديع الزمان الهمذاني – رائد القصة العربية مصطفى الشكعة ، ص٣٠٢ ، الدار المصرية اللبنانية ط١ ، ٢٠٠٣م.

(٢) مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني شرحها ووقف على طبعها محمد محي الدين، مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر ٣٤٢هـ، ١٩٢٣م، ص٣٠٠ إلى ٣٠٣ .

فكرة المقامة

فكرة المقامة هي: ابتعد عيسى بن هشام عن الأهل والوطن؛ رغبة وطلباً للعلم، وعرف أن العلم ليس خيالات ترى في المنام ،وينتهي من المقامة إلى حقيقة واحدة وهي فضل تحصيل العلم وأنه لا يجد وسيلة للحصول على العلم أفضل من المشقة والجهد الطويل وعدم الدعة والكسل.

المبحث الأول

بلاغة حجاج أساليب علم المعاني في المقامة العلمية

١-الاستفهام.

٢- النداء.

٣- التكرار.

٤- القصر.

٥- الفصل والوصل.

١- الاستفهام

لجأ الكاتب إلى إثارة السائل من خلال الاستفهام، ليوجهه إلى اغتنام الحياة في طلب العلم، وهذا كان له أثر في إثارة المتلقي.

وفي قوله: (أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ) بدأ الجملة بالاستفهام، وهو ما يثير في النفس الاهتمام، والغرض من الاستفهام: الإثارة والتشويق إلى المطلوب، وأوثر التعبير المجازي عن المعنى المراد في أسلوب الاستفهام حتى يتشوق المتلقي إلى المطلوب، ويثار ذهنه إلى المقصود فيتمكن في نفسه ويتأكد في فؤاده ويتقرر في قلبه، والاستفهام يقتضى رد من السائل ذاته أو من خلال جواب الآخر وفي كلتا الحالتين فإطار المجاورة ثابت، ولذلك له دور وظيفي غايته إقناع المتلقي، والتأثير فيه، وهذا هو الغرض من الحجاج.

فاستعمال الاستفهام من الآليات البلاغية للحجاج؛ لأنه يستلزم التأويل، فالمرسل عندما استفهم بقوله: (بِم أَدْرَكْتَ الْعِلمَ) أحدث فعلاً تواصلاً مع المتلقي لغرض أدرك المقصود.

فبلاغة حجاج الاستفهام: الإقناع لما يتضمنه من بث الأدلة من عمق السؤال من ناحية والجواب من ناحية أخرى.

٢- النداء

هو طلب إقبالا المخاطب بإحدى أدوات النداء.

وفي قوله: (مِنْ أَينَ أَنْتَ يَا فَتَى) فقوله: (يَا فَتَى) منادى، ينادي القريب بأداة نداء للبعيد؛ للفت انتباه المخاطب، ولفت نظره إلى أهميته وفضله، حيث إن النداء له لا لغيره إشارة إلى رفعته واهتماماً به، فالنداء وما فيه من تنبيه المخاطب للإصغاء، وما يتضمنه من الالتفات وقصد المنادي لا غيره، وأيضاً تأثيره في المتلقي يعد من أساليب الحجاج.

٣- التكرار

التكرار هو: "التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[(١)]، وهو من أبرز أساليب الحجاج في المقامة؛ للعناية بالمراد، وهو صعوبة تحصيل العلم وفضل تحصيله فبالغ بديع الزمان في استخدام التكرار؛ لتوصيل المعنى المراد للمتلقي. والتكرار في المقامة جاء على ثلاث صور:

الصورة الأولى: وهي دلالة الصوت المفرد: ففي اللفظة تجد صوت حرف منها يعبر عن المعنى المراد كدلالة صوت الميم في قوله: "بَعِيدَ الْمَرَامِ، لا يُصطَادُ بِالسِّهَامِ، وَلاَ يُقْسَمُ بِالْأَزْلامِ، وَلا يُرَى في الْمَنامِ، وَلا يُضْبَطُ بِالِّلجامِ، وَلا يُورَثُ عَنِ الأعمَام، وَلا يُسْتَعارُ مِنَ الْكِرامِ". فدل صوت الميم على القطع والحسم؛ ليعبر عن المعنى المراد وهو صعوبة تحصيل العلم .

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها الأحمدي بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسن المتوفي ٣٩٥ هـ ، ١٥٨/١

٢) دلالة صوت القاف: عبر صوت القاف في الكلمة عن المتاعب التي تصاحب العلم، وذلك في قوله: (وَاَسْتَرحْتُ مِن النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ، وَمِنّ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقَ، وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ) فصوت القاف وما فيه من انفجار وجهر يحدث دوياً عند النطق مما ساهم في توضيح المراد؛ لأن صوت القاف يظهر عليه طابع الشدة، فحدث التناغم بين صوت الحرف وبين المتاعب التي تواجه طالب العلم.

٣) صوت الراء: عبر صوت الراء في اللفظة عن حال طالب العلم، وذلك في قوله: (فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْه بِافتِرَاشِ اَلْمدَرِ، وَاسْتِنادِ اَلحْجَرِ، وَردُّ الضِّجّرِ، وَرُكُوبِ الَخْطَرِ، وَإِدْمانِ السَّهَرِ، وَاصطِحَابِ السفَّرَ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإِعْمالِ الفِكَر) فصوت الراء في (المدر – الحجر – الضجر – الخطر – السهر – السفر – الفكر) دل على التكرار وصفة التكرار تكون في أعلى درجاتها عند سكون حرف الراء؛ ليدل تكرار الأمر في طلب حرف الراء، فأظهر حركة طالب العلم، وهذه الحركة تناسب السعي وراء تحصيل العلم، وكثرة التدبر والنظر، كما أضفت على الإيقاع قوة من وراء الجرس الموسيقي.

الصورة الثانية: تكرار كلمات لتأكيد الجملة، ففي قوله: (فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغلَ فِي الصَّدْرِ". فكلمات (الكلام – القلب – الصدر) أكدت معنى الجملة التي فيها ؛للتأثير في المتلقي وإقناعه.

الصورة الثالثة: تكرار الفكرة :المقامة كلها تكرار لفكرة واحدة، وهي صعوبة تحصيل العلم وفضل تحصيله، فكان للتكرار أثره في توسيع المعنى ومزجه بالنص، وإثباته في الذاكرة؛ ومن ثم تري بلاغة حجاج التكرار لتحقيق غرض الإقناع والتأثير.

٤- القصر

القصر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، وبلاغة حجاج القصر: هو تقليص الإمكانات أي: تقليص الاستنتاجات وتحديد الطريق الذي يسير فيه الخطاب، فهو يمنع تعدد الاحتمالات في شأن المفاهيم.

من طرق القصر في المقامة:

١) النفي والاستثناء (ما ... إلا).

استعان الخطيب بأدوات القصر لما لها من طاقة في توجيه وإقناع المخاطب، (ما ...إلا) عامل حجاجي؛ ليوجه القول بالنفي والإثبات على مقتضى الإنكار والشك والتوهم، فالتصريح بالنفي دون القصر مدعاة لتعدد الإمكانات والمنحى، التي تدور بذهن المخاطب، وورود الجمل دون قصر سبب لتعدد الاحتمالات أما إذا وردت الجملة بالقصر فتتعين الحقيقة ويتضح الأمر؛ لتحديد إمكانية تأويلية واحدة من بين التأويلات والإمكانات.

ففي قوله: (فَوَجَدْتُهُ شيئاً لا يَصْلُحُ إلاَّ لِلغَرْسِ) صور طلب العلم بزرع لا ينمو إلا بتعهد الغرس ولا يزرع إلا في تربة خصبة وهي النفس، ولذا لا يمكن الحصول على العلم مرة واحدة بل لابد أن يمر بمراحل كغرس الزرع، والتعهد له بالسقي والاعتناء حتى ينمو ويورق ويثمر ثماره ويطيب الثمر.

فالكاتب يبين أن الحصول على العلم يأتي على مراحل وليس جملة واحدة وذلك بواسطة أسلوب القصر الذي شغل وظيفتين هما:

التصريح بالنفي المفهوم من الجملة الأولى وتعينه وإقصاء مفاهيم أخرى قد تخطر ببال المتلقي بشكل عام؛ لأن وجود النفي دون القصر سبب لتعدد مفاهيم أخرى، وإمكانات محتملة، كما استمد الكاتب أسلوبه من الطبيعة مما دل على سعة خياله وقدرته على الابتكار والإبداع.

١. تأكيد مفهوم المقصور عليه "الغرس" بواسطة إقصاء جميع الإمكانات المحتملة والتأويلات الأخرى التي تدور بذهن المتلقي، وتعمل على تعين المقصور الذي توجه ذهن المتلقي إلى قبوله دون التأويلات الأخرى،

فعلاقة الجملة الثانية بالأولى: التأكيد والحصر والتوضيح والتفسير، أي بتجربته أدرك أن الحصول على العلم مرة واحدة أمر غير ممكن وإنما هو لمن تعهد العهد وطلبه مرحلة بعد مرحلة ،وهو لا يكون إلا في نفس لديها حب وصبر لتحقيقه.

وفي قوله: (وصَيداً لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْرِ، وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر) فمسائل العلم وفروعه لا يتسنى الحصول عليها في كل وقت بل هي تكون كمن حاول الظفر بصيد ولا يقع هذا الصيد إلا في القليل النادر.

نفى حكم أن يكون العلم صيداً، ثم جيء بالمقصور عليه "في الندر"؛ ليحصر الحكم ويؤكده إذ أن نفي أن يكون صيداً يفتح باب الاستلزام التأويلي بتعدد الإمكانات فتعدد التأويلات ثم تأتي "إلا" تعيناً وتأكيداً بأنه يقع في القليل النادر؛ لذا كان المقصور عليه توكيداً و حصراً لاستلزام واحد، وإمكانية تأويلية واحدة بين التأويلات، فكان لبلاغة حجاج أداة القصر طاقة في توجيه المخاطب وإقناعه، ولا يخفي "التنكر" في قوله: (صيداً) يلقي بظلاله على المعنى أي: صيد عظيم لا يعرف قيمته إلا من تعب في الوصول إليه.

وفي قوله: (وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر) أي لا مكان لحفظ العلم إلا في الصدر، و(الصدر) مجاز مرسل علاقته الكلية، والمراد القلب، والقصر يأتي للإثبات، ويزيد القصر على قيمة الإثبات بالتخصيص، فبلاغة حجاج أسلوب القصر ليوجه القول بالنفي والإثبات بناء على مقتضى الإنكار والشك الحاصل من المخاطب.

فالأمر الذي جعل المتكلم يستعين بهذه الأداة (النفي والاستثناء) لما لها من طاقة في توجيه المخاطب وإقناعه.

وفي قوله: (وَطائِراً لا يَخْدَعُهُ، إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ) فلا سبيل لحفظ العلم وضبطه إلا بلفظه ،كما أنه لا سبيل لصيد الطائر إلا بوقوعه في الشرك عندما يلتقط الحب، فالعلم يحتاج حفظه عن طريق اللفظ والمداومة على المذاكرة، ويزدهر ويتولد بالمناظرة.

فأسلوب القصر عن طريق "النفي والاستثناء" أقوى الطرق؛ لتوضيح كيفية تحصيل العلم، يقول الإمام عبد القاهر: (وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلا كذا وإن هو إلا كذا فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه فإذا قلت ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطئ قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصاً من بعيد قلت ما هو إلا زيد لم تقله إلا وهو صاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه إنسان آخر).[1]

في قوله: (وَلا يَعْلَقُهُ إلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ) صور حفظ العلم بشرك الطائر، فاستخدام الكاتب أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء؛ ليضفي على المعنى قوة وتأكيداً حيث يؤكد ما من شأنه أن يجهله أو يشك فيه المخاطب، فلا سبيل لحفظ العلم في الصدور إلا الحفظ، فالقصر له دور في الإيجاز والتأكيد على المعنى المراد، وهو أن تحصيل العلم لا يثبت إلا بهذه الأمور، فترى الخطيب استعان بأدوات القصر لما لها من طاقة في توجيه وإقناع المخاطب.

٥- الفصل والوصل

في قوله: (بِم أدْرَكْتَ الْعِلمَ؟ قالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ) فصل الجملة عما قبلها؛ لشبه كمال الاتصال، فالجملة الأولى أثارت سؤالاً والثانية جواباً لها، ففصلها بينهما؛ لشدة الاتصال فكأنهما جملة واحدة، وتلحظ أن للحوار بينهما دور حيوي في تصوير تلك الشخصيتين، فصارت بارزة واضحة للمتلقي كما فصل بين جملة "لا يُصطْادُ بِالسِّهَامِ" وبين جملة (وَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ)؛ لكمال الانقطاع مع عدم توهم غير المراد ،والجملة الأولى خبرية لفظاً ومعنى والثانية إنشائية لفظاً ومعنى، فبلاغة حجاج الوصل أنه ساعد على تماسك النص.

الوصل

الوصل من روابط الحجاج التي تربط بين حجتين مثل: "الواو – لكن – الفاء"، أما عوامل الحجاج: هي التي لا ترتبط بين حجة وأخرى بل حصر الإمكانات وتقيدها داخل ملفوظ حجاجي معين مثل: أدوات القصر.

(١) دلائل الإعجاز ص ٢١٢.

الواو

"الواو" من روابط الحجاج وهي تشير إلى الجمع بين قضيتين، وهي تعمل على ترتيب الحج وتقويتها، ووصل بعضها ببعض ومن ذلك قوله: (لا يُصطْادُ بِالسِّهاَمِ، وَلاَ يُقْسَمُ بِالْأَزْلامِ، وَلا يُرَى في الَمْنامِ، وَلا يُضْبَطْ بِالِّلجامِ) فرابط الحجاج قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل على ترتيبها، وعلى تقريب الصور؛ ليضمن النتيجة المنشودة وهي صعوبة تحصيل العلم.

وفي قوله: (وَاسْتِنادِ اَلحْجَرِ، وَردُّ الضِّجّرِ، وَرُكُوبِ الَخْطَرِ، وَإِدْمانِ السَّهَرِ، وَاصطِحَابِ السفَّرَ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإِعْمالِ الفِكَر).

فوصل بين الجمل ؛للتوسط بين الكمالين، فالجمل خبرية لفظاً ومعنى، فبلاغة حجاج الوصل بين الحجج (الجمل)؛ ليضمن النتيجة المطروحة، وهي صعوبة تحصيل العلم، كما عمل على ترادف الحجج، فالحجج المترادفة ترابطت؛ لتقوية النتيجة المطروحة.

وفي قوله: (وَصَيداً لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْرِ، وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر، وَطائِراً لا يَخْدَعُهُ، إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ وَلا يَعْلَقُهُ إلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ) وصل بين الجمل؛ للتوسط بين الكمالين في الخبرية لفظاً ومعنى، فبلاغة حجاج الوصل هي العمل على الترتيب ؛حتى يتضمن النتيجة المنشودة وهي صعوبة تحصيل العلم.

وفي قوله: (وَحَبَستْهُ عَلى الْعَينِ، وَأَنْفَقْتُ مِن الْعَيْشِ وَخَزَنْتُ في الْقَلْبِ، وَحَرَّزتُ بِالدَّرْسِ، وَاَسْتَرحْتُ مِن النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ، وَمِنّ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقَ، وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ) عطف الجمل بعضها على بعض؛ للتوسط بين الكمالين؛ لاتفاق الجمل في الخبرية لفظاً ومعنى، وفي التعبير بالماضي؛ لتحقق الوقوع، فبلاغة حجاج الوصل أنه عمل على ترتيب الحج؛ ليضمن النتيجة المطروحة، فالحجج ترابطت؛ لتقوية هذه النتيجة المطروحة.

الفاء

"الفاء" أداة تفسير واستنتاج في الخطاب تربط بين النتيجة والحجة من أجل التوضيح والتفسير، فهي تجمع بين قضيتين أو حجتين في الدلالة على التقارب.

في قوله: (فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ) عملت الفاء على المسارعة في تلبية الدعوة، وفي قوله: (فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْه بِافتِرَاشِ اَلْمدَرِ) ربط الفاء بين الحجة والنتيجة فكان ما بعدها حجة فإذا أردت الوصول إلى العلم فعليك أن تتحمل في سبيله الصعاب والمشقة وإن كنت ستجلس في الأماكن التي يصعب الجلوس فيها من أجله.

وفي قوله: (وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ) وقوله: (فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ) الرابط الفاء عمل على المسارعة في سماع الكلام دون مهلة، فعملت الفاء على الترتيب والاتصال بين الحجتين.

فرابط الحجاج "الفاء" ربط بين النتيجة والحجة ،فهي أداة ربط واستنتاج جمعت بين قضيتين متقاربتين في الدلالة، وما بعدها متسبباً عما قبلها، ولذا فهي تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير.

لكن

"لكن" أداة ربط حجاجي لنفي الكلام وإثبات غيره.

وفي قوله:

إسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لوْ قَرَّ فِيها قَرَارِي
لكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي وَبِالْعِراقِ نَهَارِي

يقول: إن الإسكندرية بلده ثم استدرك بأنه لا يمكث في بلده؛ حباً للعلم، ورغبة في تحصيله بل هو يجول مشارق الأرض ومغاربها، (لكن) ربطت بين قضيتين والثانية هي الأقوى؛ لذا عمل الرابط "لكن" على توجيه القول للحجة الثانية، فكان الاستدراك لبيان حقيقة مكانه، فأفاد الرابط (لكن) رفع ما يتوهم بثبوته من أن مكانه ونشأته هي الإسكندرية، كما أفاد الرابط الاستدراك والتوكيد.

المبحث الثاني

بلاغة حجاج التصوير البياني في المقامة العلمية

١- التشبيه.

٢- المجاز المرسل.

٣- الاستعارة.

٤- الكناية.

١- التشبيه

ذكر القدماء بلاغة حجاج التشبيه بقول الإمام عبد القاهر عن منزلة التشبيه: (إن كان مدحاً كان أبهى وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر)(١).

فمنزلة التشبيه المقترن ببلاغة الحجاج تأتي للتوضيح وللإقناع، ففي قول الكاتب: (فَوَجَدْتُهُ شيئاً لا يَصْلُحُ إلاَّ لِلغَرْسِ، ولا يُغْرَس إلاَّ في النَّفْس) شبه حال حصول العلم على عدة مراحل من النفس المحبة للعلم، بحال تعهد الزرع حتى ينمو وينضج في التربة الخصبة، بجامع الهيئة الحاصلة على حصول الشيء بعد مراحل من التعب والجد، ولا شك إن إخراج هذا المقصود وهو حصول العلم من النفس المحبة له على عدة مراحل في صورة مرئية ملموسة يراها بل ويمارسها البعض له أثر في وضوح الصورة غاية الإيضاح وكذلك الإقناع، فترى بلاغة حجاج التشبيه زادت المعنى وضوحا وعملت على تحريك خيال السامع بإقناعه بالصورة.

كما ساعد على وضوح الصورة استخدام الفعل المضارع (يصلح – يغرس) لاستحضار صورة الصلح والغرس يقول الدكتور أبو موسى: (الفعل المضارع يدل على الحال أي وقوع الحدث الآن ،وهذه دلالته الأصلية ومن هنا كانت صيغته أقدر الصيغ على تصوير الأحداث ؛لأنها تحضر مشهد

(١) أسرار البلاغة ص٦٥ ، ٦٦

حدوثها، وكأن العين تراها وهي تقع، ولهذا الفعل مواقع جاذبة في كثير من الأساليب حين يقصد إلى ذلك وترى المتكلمين من ذوي الخبرة بأسرار الكلمات يعبرون بها عن الأحداث المهمة التي يريدون إبرازها وتقريرها في خيال السامع).[1]

وفي قوله (وَجَدْتُهُ.... صَيداً لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْرِ) شبه فنون العلم بصيد سمين لا يقع إلا في قليل الندر بجامع الندرة في كل حيث وضح لنا أن مسائل وفروع العلم لا يتسنى الحصول عليها في كل وقت بل هي تكون كمن حاول الظفر بصيد سمين يصعب الحصول عليه، ولا يحصل عليه إلا في القليل النادر ،فالعلم يكون في الرفيع من القول؛ ابتغاء الوصول للمعنى المراد، ولا يخفى التنكير في (صيداً) يلقي بظلاله على المعنى مما يدل على أنه صيد عظيم لا يعرف قيمته إلا من تعب في الحصول إليه وعرف قيمته، فالتشبيه له فاعلية في الحجاج ؛لأنه يدفع بخيال السامع للتفاعل مع النص للإقناع والتأثير.

وفي قوله: (وَجَدْتُهُ... طَائِراً لا يَخْدَعُهُ، إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ) شبه حال حفظ العلم بتآلف المعاني مع الألفاظ بحال تآلف الطير للقنص "الحب الذي يلتقطه في الشرك "بجامع الهيئة الحاصلة من التآلف والاستئناس في كل، فلا سبيل لحفظ العلم وضبطه غير الحفظ بلفظه، وفهم معناه كما لا سبيل لصيد الطائر إلا بوقوعه في الشرك ،فالعلم يحتاج حفظه عن طريق اللفظ والمداومة على المذاكرة، ويزدهر ويتولد بالمناظرة، فالكشف عن الصورة لا يكون عن طريق التشبيه فقط بل التغلغل على أجزاء الصورة والربط بين هذه الأجزاء والكشف عن الصورة وتحليلها فيكون كل جزء من مكونات الصورة جزء من الصورة ككل، وذلك باستمالة المخاطبين وإقناعهم، وكذلك في قوله: (وَلا يَعْلَقُهُ

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني، أ.د/ محمد أبو موسى، ٢٦٤/١ مكتبة وهبه.

إلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ) ففي قوله: "شَرَكُ الحِفْظِ" شبه حفظ العلم بشرك الطائر، وهذا التشبيه نقل الصورة من المعنوي الخفي إلى المحسوس الظاهر للتوضيح والإقناع فبلاغة حجاج التشبيه تأتي من التقريب بين الصورتين بلا تفاوت وأيضاً مبني على تشابه الصورة بأخرى وهو وسيلة استدلال بواسطة الشبه؛ لأن الصورتين لا تنتميان لمجال واحد ،فالتشبيه حرك خيال السامع للوصول إلى المراد وللتأثير فيه ولإقناعه.

٢- المجاز المرسل

المجاز المرسل هو: استعمال اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ففي قوله: "وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر" "في الصدر" مجاز مرسل، علاقته الكلية، ذكر الصدر والمراد القلب أي: أن المعنى يثبت في العقل، لكن العرب عبرت عن العقل بالقلب.

فبلاغة المجاز تكمن في الدقة والمهارة في تخير العلاقة بين المعنى، والمجاز من الوسائل التي تساعد على جمال وبلاغة التعبير وذلك ؛لأن المعنى ينقل من مدلوله الأصلي إلى مدلول أكثر اتساعاً، كما أن المجاز وسيلة للإيجاز والبلاغة والبيان، وذلك لغرض التأثير في المتلقي ولإقناعه وهذا هو الغرض البلاغي من الحجاج .

٣- الاستعارة

الاستعارة: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، فالتشبيه عند الإمام عبد القاهر قياس والاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه.

في قوله:

"لا يُصطْادُ بِالسِّهاَمِ" عبر الكاتب بـ "السهام" وهي أداة من أدوات الحرب في بناء الصورة، وهي من الوسائل التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحياة المخاطبين، فشبه الوصول للعلم بشيء صعب المنال، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه (يصطاد بالسهام) على سبيل الاستعارة المكنية وإثبات "يصطاد السهام" إلى العلم استعارة تخييليه وهي قرينة المكنية.

هذه الصورة مستوحاة من حياة المخاطبين، فلم يقف الأمر عند طبيعة الصورة بل إن المقام له دور في تعزيز قوة بلاغة الحجاج، وهو الحث على طلب العلم وبيان صعوبة تحصيله، فبلاغة حجاج الاستعارة تسليم المخاطبين بأهمية وضرورة تحصيل العلم حيث أنه لا ينال إلا بالجد والاجتهاد ،وأنه ليس كفريسة يصطاد بالمهارة والقدرة على الرماية.

انتقل الكاتب إلى صورة أخرى لتأكيد صعوبة تحصيل العلم، والوقوف على أسراره فقال: "وَلاَ يُقْسَمُ بِالْأَزْلامِ" فيقول: إن العلم لا ينال بالحظ، أو بالمقامرة كعادة العرب في الجاهلية، حيث كان يقسمون عند أصنامهم، فعندما يخرج لهم من الأقداح افعل فيفعلون ما يريدون من سفر، أو زواج، أو غيره، أو كان إذا خرج لهم لا تفعل كان ينتهي عما يريده، فشبه" العلم "بشيء محسوس يصعب أن ينال بالحظ والمقامرة، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات "لا يقسم بالأزلام" للعلم استعارة تخييليه وهي قرينة المكنية.

استخدم الكاتب استعارته على ما تقر عقلية المخاطبين ،فجعل من صورة تقسيم الأزلام بؤرة يدور عليها الخطاب، وهذا ما نطقت الاستعارة به، والاستعارة أداة أساسية في الحجاج من حيث إنها صورة مجازية وأن المجاز مرتبط بالحجاج بشكل مباشر.

وفي قوله: "لا يُرَى في الْمَنامِ" عبر الكاتب عن صعوبة تحصيل العلم، وأنه يحتاج إلى تعب وسهر، وأنه ليس رؤى أو خيالا، فشبه العلم بشيء صعب يرى خيالاً وأحلاماً، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، فبلاغة حجاج الاستعارة: البيان والتوضيح؛ لغرض التأثير والإقناع، فالاستعارة مركز الحجاج وأهم آلياته البلاغية لما لها في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، وإحداث تغيير في فكره، فهذه الاستعارات حققت الإقناع والتأثير وجاءت واضحة لا غموض فيها ولا تكليف.

انطلق الكاتب إلى صورة أخرى، ليصور صعوبة تحصيل العلم فقال: (لا يُضْبَطْ بِاللِّجامِ) فصور صعوبة تحصيل العلم بصعوبة شيء محسوس وهو: "ضبط اللجام"، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

فالاستعارة ذات طاقة قوية اقتضاها النص واتسمت بالإيجاز والدقة، فالكاتب أخبرنا بصعوبة تحصيل العلم من خلال الاستعارة فالاستعارة آلية من آليات الحجاج قبل أن تكون إخبارية، فهي استعارة إقناعية جمالية؛ لأن الحجاج لا يكون خال من الجمال.

"لا يُورَثُ عَنِ الأعمَام" شبه الكاتب صعوبة تحصيل العلم بشيء محسوس ينقل إلى صاحبه دون تعب أو جهد، حذف المشبه به، رمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ،فالعلم لا يصل إلى الشخص كما تصل التركة إلى أصحابها الوارثين من غير تعب ولا عرق، فهذه الاستعارة خاطبت عقول المخاطبين، لأنها صورة مقتبسة من الواقع، فبلاغة حجاج الاستعارة: التأثير في المخاطبين ليمنح الصورة البعد الإقناعي.

انتقل الكاتب إلى صورة أخرى، وإلى استعارة جديدة؛ ليبين صعوبة تحصيل العلم فقال: (وَلا يُسْتَعارُ مِنَ الْكِرامِ) شبه صعوبة تحصيل العلم بشيء محسوس يأخذ من الكرام، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، فالعلم لا يصل إلى الشخص كالعارية التي تصل إلى المستعير دون تعب أو مشقة بل لابد من الجد والاجتهاد والسعي في سبيل تحصيل العلم.

فالتعبير بالاستعارة أعلى حجاجا من التعبير الحقيقي؛ لأن التعبير بالاستعارة هدفه التأثير والإقناع؛ لأننا نسلم في التعبير الحقيقي من أول المقام.

"لا يُصطْادُ بِالسِّهامِ ... وَلا يُسَتَعارُ مِنَ الْكِرامِ" فقيمة بلاغة الحجاج لا تكمن على وجه الاستعارة فقط بل القيمة تكمن أن استمدت الصورة مادتها من الواقع، ودفعت المتلقي إلى الإقناع وقبول النتائج المتولدة عن المضمون.

فالاستعارة من حيث هي تقريب الصور المعنوية غير محسوسة إلى صور محسوسة ملموسة، وهذا من أبلغ آليات الحجاج لما تتضمنه من قوة تأثيره داخل الخطاب، فهي لم تمتلك قوة جمالية فقط؛ لتحريك وجدان المتلقي بل تمتلك أيضاً حجج متنوعة ؛وعلاقات استدلالية ترتبط بحسن اختيار الكلام، فالصور ذات طاقة اقتضاها الخطاب ،فحرص صاحبها على أن تظهر بمظهر العقلية؛ ولذلك اعتبر الإمام عبد القاهر الاستعارة (أداة من أدوات الإقناع)[١].

ومفهومها عند الإمام عبد القاهر هي: (ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء)[٢] أي درجات التشابه بين المستعار له والمستعار منه تصل إلى حد التطابق فتصل إلى شيء آخر عن طريق الخيال.

ينتقل الكاتب إلى صورة أخرى من صور الاستعارة؛ ليوضح بلاغة الحجاج فيها، ففي قوله: (مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هذِه الشَّمْس) استعار الشمس للفتى استعارة تصريحيه أصلية ،فالاستعارة في لفظ الشمس هي في الحقيقة نتيجة لمقدمتين مضمرتين المقدمة الأولى: مكان الفتى، المقدمة الثانية: مشرق الشمس، نتيجة الاستعارة: مطلع الشمس ،فمن خلال هذا المثال تعتبر الاستعارة المنطقية من آليات حجاج؛ لأنها تعتمد على اعتبار المقدمتين حجتين للنتيجة المعلنة، فبلاغة حجاج الاستعارة تهدف إلى الإقناع وهي توجه المتلقي لوجهة يريدها المتكلم حيث دلت على رفعه قدر المتكلم؛ لتحصيله العلم، وأنه صار شمساً؛ لنشر العلم في كل الأرجاء، وهذه الاستعارة:

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٨.
(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٨.

استعارة منطقية والاستعارة المنطقية هي نوع من القياس أي قياس حذفت مقدمتاه واكتفى بالنتيجة.

وكذلك الاستعارة في قوله: (وَإِدْمانِ السَّهَرِ) صور السهر في سبيل تحصيل العلم بشيء محسوس يجربه مرة بعد مرة لتحصل له لذة لا تنقطع، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذه الاستعارة عبرت عن المعنى المراد، فالاستعارة وضحت المعنى وأثرت في المتلقي وجعلته يتفاعل مع النص، وهذه الاستعارة جاءت ممن اتفق عليه بين عامة الناس حتى عندما يتوجه بالخطاب فلا أحد ينكر بقبول هذه الصورة بداية في التسليم بالدعوة وفتح باب الحوار وتجاوباً بشيء مسلم به.

وفي قوله (وَرُكُوبِ الَخْطَرِ) شبه الأخطار التي يواجهها طالب العلم في سفره، بمطايا يمتطيها في الطريق حتى يصل إلى مراده، حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

فترى بديع الزمان نجح في توظيف التجسيم في الاستعارة، والاستعارة من خلال التجسيم وضحت المعنى، وأثرت في المتلقي، وجعلته يتفاعل مع النص، ففاعلية الاستعارة تكمن في التناسب مع ما يقتضيه السياق، ولذلك هي أبلغ آليات الحجاج.

٤- الكناية

الكناية ملمح حجاجي؛ لأنها بمثابة الدليل الذي يلجأ له المخاطب؛ لإثبات معانيه وإقناعه المتلقي، وهي أيضاً تعتمد على ذكاء المتلقي، وسرعة فهمه للمعنى المراد، فالكناية أسلوب يلجأ إليه المتكلم؛ لإثبات المعنى بالدليل؛ لإقناع المتلقي من خلال خطاب الحجاج.

وفي قول الكاتب: (فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْه بِافتِرَاشِ اَلْمدَرِ) هذه الجملة كناية عن صعوبة العيش؛ رغبة لطلب العلم، فدلت الكناية على تحمل الصعاب بالجلوس في الأماكن التي يصعب فيها الجلوس من أجل تحصيل العلم، والتعبير بالمصدر "افتراش" للمبالغة والتأكيد على أن الجلوس ليس جلوساً

عادياً بل هو افتراش فيه طول مدة الجلوس، ويوضح لنا مدى صعوبة الجلوس في هذا المكان، وترى نظم الأسلوب في الجملة الفعلية المصدرة بالفعل الماضي؛ للدلالة على تحقق مضمون الخبر، والفعل "توسلت" من الأمور المعنوية إلا أنه صور حال التعب والمشقة في تحصيل العلم، فالكناية ملمح حجاجي؛ لأنها بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المخاطب؛ لإثبات معانيه، وإقناع المتلقي كما في هذه الصورة.

وفي وقوله: (وَرُكُوبِ الَخْطَرِ) كناية عن صعوبة تحصيل العلم، فيقول: إذا أردت تحصيل العلم فعليك بالسفر والسهر؛ حتى تصل إلى مرادك، والتعبير بركوب الخطر مألوف في الكلام العربي فالأخطار التي يواجهها طالب العلم في السفر؛ لتحصيل العلم مطايا يمتطيها في الطريق؛ ليصل إلى مراده، وهذه الكناية يأتي جمالها من المعنى مصحوباً بالدليل في التجسيم، والإيجاز، ولم يأت بالمعنى الحقيقي وهذا ما يؤكد أن خطاب الحجاج لا يكون بالألفاظ الصريحة فقط –أي بالتعبير الحقيقي فقط– بل بالخطاب التلميحي.

وفي قوله: (وَاسْتِنادِ اَلحْجَرِ، وَردُّ الضِّجّرِ): كناية عن قوة التحمل والصبر على العمل، وهذه الكناية بينت لنا أن من أراد الوصول إلى العلم فعليه تحمل كل ما يقابله من جوع، وضجر، وألم، فالكناية أسلوب يلجأ إليه المتكلم؛ لإثبات المعنى بالدليل؛ لإقناع المتلقي من خلال خطاب الحجاج.

وفي قوله (وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإعْمالِ الفِكَر) كناية عن كيفية تحصيل العلم، وترى صيغة الجملة بالجملة الاسمية ؛لإفادة التقرير والتوكيد ،وتحصيل العلم لا يكون إلا بإطالة النظر، وإعمال العقل، والفكر، والتدبر.

والتعبير في المصدر في الجمل السابقة جاء للتأكيد والإيجاز والمبالغة، فالتأكيد من استعمال المصدر، والإيجاز؛ لأن المصدر منصوب بتقدير من لفظه، والمبالغة لعدم الاختصاص بزمن معين ،فالمبالغة لدلالة المصدر على الحدث فقط دون زمن.

كما أن التعبير بالمصدر (اصطحاب – استناد – إعمال – افتراش) يوحي بكثرة وقوع الفعل، فيدل على أن المخاطب كان في تجارب ،وخطوات في تحصيل العلم، فتحمل الصعاب والشدائد ؛لتحصيله هذا ما نسميه حجة عامة ثم يتفرع من هذه الحجة العامة حجج فرعية تبرز الحجة العامة وتؤكدها حيث تقدم هذه الحجج الفرعية الوصول إلى الغاية الكلية ،وهي إقناع المتلقي والتأثير فيها.

وفي قوله: (فَحَمَلْتُهُ عَلىَ الرُّوح) كناية عن الملازمة لحب العلم؛ لأن الروح لا يعتريها ملل للعلم ولا تكل، فتلقي ما حملت بل هي في حب وشغف، أو كناية عن سعادته بتحصيل العلم ،وربما تكون كناية عن درسه للعلوم التي تغذى الروح مما دل على حبه لهذه العلوم.

وفي قوله: (وَحَبَسْتُهُ عَلى الْعَينِ) كناية عن الحفاظ على العلم بعد تحصيله، فالعلم لا يفارقه أبداً بعد تحصيله، وكأنه حفظه بعينه، أو كأنه كحل في عينه.

وفي قوله: (وَأَنْفَقْتُ مِن الْعَيْشِ وَخَزَنْتُ في الْقَلْبِ) كناية عن إنفاق المال، وعن بذل الجهد في تحصيل العلم، وهذه الكناية دلت على أنه أنفق كل ما يملكه من وقت، وجهد، ومال في سبيل تحصيل العلم؛ لحفظ عقله بالعلم والمعرفة، فما سلكته الكناية في التعبير عن المعنى المعنوي كان له أثر في استحضار الفكر في ذهن المتلقي للوصول إلى التسليم والقبول.

وفي قوله: (وَحَرَّرتُ بِالدَّرْسِ) أي كتبت المسائل وخلصتها من الشبهات، كناية عن وصوله إلى دقائق وأسرار العلم، وهي تكون بالكتابة والتدوين، وكثرة المعاودة.

فحديث القدماء عن الصورة والعدول من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي في صورة حسية بإقناع المتلقي كان موجوداً، يقول الإمام عبد القاهر: (طريق العلم بما يراد إثباته والخبر في هذه الأجناس الثلاثة التي هي

الكناية والاستعارة والتمثيل المعقول دون اللفظ ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه.(١)

وفي قوله (وَاَسْتَرحْتُ مِن النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ، وَمِنّ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقَ) التحقيق: هو إدراك الشيء على حقيقته، وهذا كناية عن كثرة دراسته، ومعاودته المسائل العلمية، وهذه الكناية وضحت لنا كيفية الوصول إلى دقائق، وأسرار العلم، فهو لم يحصل عليه مرة واحدة بل عن طريق مراحل ،فهو ينتقل من النظر في المسائل إلى بحثها، واكتشاف دقائقها وأسرارها ،ثم بعد ذلك التعليق عليها، ويذكر رأيه في المسألة بعد وصوله إلى حقيقة الشيء، فهو ليس ناقلاً بل له دور في التعليق وإبداء الرأي.

وفي قوله: (وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ) كناية عن معرفة أول أسباب تحصيل العلم وهو طلب الاستعانة والتوفيق من الله ﷻ، فهذه الكنايات مجاز، والمجاز بكل أنواعه قائم على الاستدلال بالمعنى على معنى آخر بالبرهان والبينة، فبلاغة حجاج الكناية قائمة على الإقناع والتأثير؛ لجعل المعقول محسوساً والغائب مشاهداً باستحضار الفكر في ذهن المتلقي للوصول إلى التسليم والقبول.

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٣٩.

المبحث الثالث

بلاغة حجاج المحسنات المعنوية واللفظية في المقامة العلمية

١- براعة الاستهلال.

٢- المقابلة.

٣- مراعاة النظير.

٤- التفويف.

٥- الجناس.

٦- السجع.

١- براعة الاستهلال

براعة الاستهلال هي أول شيء يدخل الأذن، وأول معنى يصل إلى القلب، تجذب الانتباه ،وتوقظ الأذهان، فافتتح المقامة بالسؤال بقوله: "بِم أدْرَكْتَ الْعِلمَ" هذا الافتتاح يناسب المقصود من المقامة؛ لأن الاستفهام؛ للاهتمام بالمطلوب؛ ولإثارة التفكير؛ ولتنبيه المخاطب إلى أهمية وفضل العلم، فالاستفهام في بداية المقامة له دور في التواصل وجذب الانتباه والحصول على المعلومات.

يقول: ابن رشيق: "حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ... فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة.[١]

فمبدأ الكلام إشارة إلى المقصود يقول الإمام السيوطي: "هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله، وأول شيء يدخل الأذن، وأول معنى يصل إلى القلب[٢].

---

(١) العمدة: ٢١٧/١ ابن رشيق.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ص١٠٩، جلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية.

فبراعة الاستهلال هي: إشارة إلى المقصود من أول وهلة للوصول إلى النتيجة، والتأثير في المتلقي، وإقناعه، وفي افتتاح المقامة "حسن ابتداء" أيضاً وقد أشاد بهذا اللون أبو هلال العسكري: "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام.(١)

وقد روعي في افتتاح المقامة مقتضى الحال، فجاءت الجملة مطابقة لمقتضى الحال يقول الخطيب القزويني: "وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب".(٢)

٢- المقابلة

وهي "أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب"(٣) في قوله:

لكِنَّ بِالَّشامِ لَيَّلي وَبِالُعِراقِ نَهَارِي

فهو متنقل بين البلاد في مشارق الأرض ومغاربها؛ طلباً، وحباً للعلم، ورغبة في تحقيقه، فالتقابل بين الجملتين يساهم في إبراز المقصود، وهو عدم بقائه في مكانه، فكان التنقل صفته؛ حباً وطلباً للعلم، فإخراج المعنى في صورة التضاد رسم البعد الشاسع بين المكان والزمان؛ ليصل المعنى إلى المتلقي في صورة واضحة إذ الضد أقرب بالبال عند ذكر ضده ... فلا يخفى ما في هذا الأسلوب التقابلي من أثر قوي فترى كل لفظة مختارة لتؤدي دورها بعناية دون إغفال لجرسها الموسيقي.

فبلاغة حجاج المقابلة تجعل المتلقي أمام صورتين متضادتين فيتضح الأمر، فاستعمال المقابلات أثار ذهن المتلقي وخياله، إذ وضع المتناقضات

(١) الصناعتين ٤٣٧
(٢) بغية الإيضاح جـ١ : ٢٧
(٣) بغية الإيضاح ١١/٤

أمام بعضها يوضح المعنى ويقويه، فيؤثر ذلك في المتلقي ويقنعه، وذلك مقصد الحجاج، كما أن المقابلة كان لها أثر بديع على الأسلوب، فأعطته رونقاً وأكسبته قوة وتماسكاً ،فدور الحجاج للمقابلة في استدعاء المعاني من خلال عقد المقارنات؛ لفهم المراد؛ للتأثير والإقناع المتلقي.

٣- مراعاة النظير

مراعاة النظير هي "أن تجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه بالتضاد"[١] في قوله: (فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغلَ فِي الصَّدْرِ، وهي أمور متناسبة يدرك التناسب بينها وأصبح الكلام محكماً التأليف.

فترى دقة الخطيب في اختيار الألفاظ المتناسقة التي وضحت المعنى مما جعل الكلام عذباً محكماً لغرض الإقناع والتأثير، فبلاغة حجاج البديع ليس دوره فقط في الزخرفة بل الإقناع بمضمون الرسالة.

٤- التفويف

هو: أن تأتي بمعاني متلائمة في جمل مستوية المقدار، ويقول القزويني: "وأما ما يسميه بعض الناس التفويف فبعضه من مراعاة النظير وبعضه من المطابقة".[٢]

ففي المقامة في قوله: "فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغلَ فِي الصَّدْرِ". فقد جاء الكاتب بالمعنى في جمل متناسبة مستوية المقادير مع المناسبة اللفظية بين الجمل، فالجمل فعلية دلت على تحقق الوقوع فعندما سمع الكلام وصل إلى قلبه وتغلغل في صدره، استخدم الكاتب الألفاظ في صيغ معينة جعل لها قدرة تصويرية لأجل التأثير وإقناع المتلقي.

---

(١) بغية الإيضاح ٤/١٣.
(٢) الإيضاح ٣٤٥.

٥- الجناس

هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلف في المعنى، ومن ذلك قوله:

إسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لوْ قَرَّ فِيها قَرَارِي

"دَارِي ... قَرَارِي" جناس لفظي لاحق لاختلاف الكلمتين في نوع الحرف وهما متباعدان في الأول.

والجناس هنا ليس للزخرفة بل لإحداث إيقاع موسيقي يجذب انتباه المتلقي لاستمالته، وللتأثير فيه حتى يصل إلى درجة الإقناع بما يريده ،وهذا غاية الحجاج، وأيضاً قوله: (وَاسْتِنادِ اَلْحَجَرِ، وَردُّ الضِّجّرِ) (الحجر والضجر) فهذا الإيقاع ما يجذب آذان المتلقي؛ لإقناعه بتحمل الصعاب والمشقة في سبيل تحصيل العلم، يقول الإمام عبد القاهر: "المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاده المعنى إليهما، وعثر عليهما حتى لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في شبيه مما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكره"(١)

فلا يخفى ما يحققه الجناس من توافق صوتي له وقع في نفس السامع لغرض الإقناع والتأثير .

٦- السجع

السجع هو توافق فواصل الجمل، وعرفه ابن ألأثير بقوله: (تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"(٢)

ففي قوله: (لا يُصطْادُ بِالسِّهاَمِ، وَلاَ يُقْسَمُ بِالْأَزْلاَمِ، وَلا يُرَى في الَمْنامِ، وَلا يُضْبَطْ بِالِّلجامِ، وَلا يُورَثُ عَنِ الأعمَام، وَلا يُسَتَعارُ مِنَ الْكِرامِ) زين الخطيب جملة بالسجع المرصع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثر مع ألفاظ الفقرة الأخرى في الوزن والقافية ،فترى توازن إيقاع الفقر المسجوعة لها

(١) أسرار البلاغة : ١٤ عبد القاهرة الجرجاني.
(٢) المثل السائر ص ١١ ، جـ١ ، ابن الأثير.

حسنها وجمالها؛ لأن السجع يؤثر في النفوس بميل الآذان إليه لما يحدثه من نغمة موسيقية فتطرب له الآذان فيتمكن المعنى في النفس فيحدث الإقناع والتأثير.

يقول الإمام عبد القاهرة: (إنك لا تجد تجنيس مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقك نحوه حتى لا نجده تبتغي بدلاً ولا تجد عنه حولاً ".[1]

وفي قوله: (وَاسْتِنادِ اَلْحَجَرِ، وَرَدُّ الضِّجّرِ، وَرُكُوبِ الَخْطَرِ، وَإِدْمانِ السَّهَرِ، وَاصطِحَابِ السفَّرَ) ترى السجع قصير الفقرات ومقاطع الجمل متوازنة، ولذا بلغ السجع مداه في الاستحسان لما فيه من التنبيه السريع، والإيقاع الملفت مما جعل للمقامة رنة تطرب لها الآذان، وتميل إليها الأسماع، فيتمكن المعنى في النفس، فبلاغة حجاج القول ليست في أخبار المتكلم، أو في توصيل المعلومة بل أيضاً بما تشتمل عليه من عناصر صوتية وبلاغية في فقر متساوية أدت إلى تلاحم، وربط الكلام، وعملت على توجيه المتلقي؛ للإقناع بالمعنى المراد.

فبلاغة حجاج السجع عملت على التآلف بين الطبقات الصوتية ،فأثارت ذهن المتلقي في خياله، وعملت فكرة؛ لإعادة الصياغة فحصل الإقناع بالخطاب، فتمكن المعنى في الذهن.

وفي قوله: "لا يَصْلُحُ إلاَّ لِلغَرْسِ، ولا يُغْرَسُ إلاَّ في النَّفْس" وفي قوله: "وَصَيداً لا يَقَعُ إلاَّ فِي النَّدْر، وَلا يَنْشَبُ إلاَّ فِي الصَّدْر" وفي قوله: "وَطائَراً لا يَخْدَعُهُ، إلاَّ قَنصُ اللَّفْظِ وَلا يَعْلَقُهُ إلاَّ شَرَكُ الحِفْظِ". ترى أيضاً ظاهرة إيقاع الفقر المسجوعة، وتوازيها لها حسنها وجمالها؛ لذلك هي أفضل أنواع السجع، لما لها من نغمة تطرب لها الآذان، فتقبل عليها الأسماع من غير ملل وفتور،

(١) أسرار البلاغة ص١٥ لإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر.

يقول أبو هلال العسكري: "والسجع على وجوه منها أن يكون الجزءان متوازيين متعادلين لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل حرف يعنيه..."(١).

فتساوى فقر الكلام ينشأ عنه اتساق صوتي يبعث على الغبطة والارتياح، فالسجع ارتبط بالمعنى؛ لذا جاءت الموسيقى تناسب على اللسان، فساعدت على تثبيت المعاني في النفوس.

وترى فواصل السجع ساكنة في قوله: (الغرس – النفس – الندر – الصدر – اللفظ – الحفظ) فالفواصل ساكنة في حال الوقف فترى السجع موقوفا، فارتبط بالمعنى أشد الارتباط، وكأنه بسكون الفواصل إشارة إلى قطع الكلام وحسمه، فوافق بين المعنى واللفظ.

وفي قوله (وَاَسْتَرحْتُ مِن النَّظَرِ إلى التَّحْقِيقِ، وَمِنّ التَّحْقِيقِ إلَى التَّعْلِيقَ، وَاسْتعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوفِيقِ) وترى السجع ترك أثراً جليلاً في سلامة الألفاظ وقوة التركيب.

فبلاغة حجاج السجع من خلال الانسجام بين الطبقات الصوتية؛ لتوضيح الفكرة، وإبرازها فيتصل بالنفس والوجدان، ويعمل الفكر لإقناعه وللتأثير فيه، مما كان له أثر في تحسين الأسلوب والصورة.

(١) كتاب الصناعتين ص ٢٦٢.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمه للعالمين سيدنا محمد – ﷺ– وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد ... ؛

أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- جعل الحجاج من البلاغة أداة لتفسير، وتحليل الظواهر الفلسفية والقانونية.

٢- البلاغة العربية القديمة تكلمت عن الحجاج وعن أدواته البلاغية، وأنها قائمة على آليات الحجاج التي هدفها الإيضاح عن المعنى المقصود؛ لقصد الفهم والإقناع، ولعل من الأسباب التي جعلت البلاغة العربية ذات بعد حجاجي هو: اختلاط البلاغة بالقرآن الكريم ؛لبيان وجوه إعجازه.

٣- الحجاج نظرية عربية ونظرية غربية ظهرت على يد بيرلمان وتيتكا.

٤- شغل الحجاج الباحثين بوصفه البلاغة الجديدة وأصدرت حوله المؤلفات.

٥- موضوع الحجاج البلاغي دراسة تقنيات الخطاب؛ لغرض التسليم والإقناع، فهو الركيزة الأساسية للحجاج.

٦- ميز بيرلمان بين الحجاج الإقناعي والحجاج الإقتناعي، فالحجاج الإقناعي: يجنح إلى العاطفة والخيال ؛لإقناع نوع خاص من الجمهور، ولا يفسح المجال لحرية الاختيار، أما الحجاج الإقتناعى: فهو التسليم بما يقال دون إكراه، لذا اعتبر الحجاج الإقتناعى أساس الحجاج.

٧- راعى الكاتب مقتضى الحال والمقام للمخاطب، ولجأ إلى الحوار بقصد الفهم والاستيعاب؛ ليضمن التأثير والإقناع في المتلقي.

٨- استطاع بديع الزمان الهمذاني أن ينظم ألفاظه وعباراته في دقه وإحكام؛ ليصل إلى هدفه في التذكير والوعظ والتحذير، كان أسلوبه موجزاً خالي من العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة، ومن العيوب التي تخل بفصاحة

الكلام، كما أنه نوَّع أسلوبه بين الأساليب الخبرية والإنشائية؛ ليكون أعمق أثراً وأكثر دلالة؛ ليصل إلى التأثير والإقناع.

٩- استخدم أسلوب القصر لتأكيد المعنى وتقريره وخص من طرائقه (النفي والاستثناء)، وأسلوب القصر شغل وظيفتين هما:

أولاً: التصريح بالنفي المفهوم من الجملة الأولى وتعينه وإقصاء مفاهيم أخرى قد تخطر بالبال؛ لأن وجود النفي دون قصر سبب لتعدد مفاهيم واستنتاجات أخرى.

ثانياً: تأكيد مفهوم المقصور بإقصاء التأويلات المحتملة التي تدور بذهن المتلقي، وقبول المقصور دون تأويلات أخرى.

١٠- التكرار من أبرز أساليب الحجاج في المقامة، وكان له دور في تأكيد المعنى وجاء في المقامة على ثلاث صور:

الصورة الأولى :

١) دلالة الصوت المفرد: كدلالة صوت الميم في الكلمات: (المرام – السهام – الأزلام – المنام – اللجام – الأعمام – الكرام) فدل صوت الميم على القطع والحسم ليعبر عن المعنى المراد.

٢) دلالة صوت القاف في "التحقيق – التعليق – التوفيق" فصوت القاف وما فيه من انفجار وجهر يحدث دوياً عند النطق مما ساهم في توضيح المراد؛ لأن صوت القاف يظهر عليه طابع الشدة، فحدث التناغم بين صوت الحرف وبين المتاعب التي تواجه طالب العلم.

٣) دلالة صورت الراء في (المدر – الحجر – الضجر – الخطر – السهر – السفر – النظر – الفكر) فصوت حرف الراء دل على التكرار، وصفة التكرار تكون في أعلى درجاتها عند سكون حرف الراء، دل ذلك على تكرار الأمر في طلب العلم، فحرف الراء أظهر حركة طالب العلم، وهذه الحركة تناسب السعي وراء تحصيل العلم ،وكثرة تدبره، كما أضفت على الإيقاع قوة من وراء الجرس الموسيقي.

الصورة الثانية: تكرار ألفاظ دلت على معنى الجملة ؛لتأكيدها كما في قوله: (فَسَمِعْتُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ، وَوَصَلَ إلى الْقَلْبِ وَتَغَلْغَلَ فِي الصَّدْرِ) فـ (الكلام – القلب – الصدر) ألفاظ دلت على معنى الجملة التي تسبقها وكررت؛ لتأكيد الجملة، وللتأثير في المتلقي ولإقناعه.

الصورة الثالثة: تكرار الفكرة، وهو: التكرار المعنوي، فالمقامة تكرار لفكرة واحدة، وهي صعوبة تحصيل العلم وفضل تحصيله، فرسَّخ الفكرة بالتكرار في عبارات متشددة ، فأبعد الملل عن السامع، فكان للتكرار أثره في ترسيخ المعنى، ولتحقيق غرضه الإقناع والتأثير.

١١- بلاغة حجاج الوصل: عملت على ترتيب الحجج؛ ليضمن النتيجة المطروحة، وتعددت روابط الحجاج تبعاً للمقام.

١٢- بلاغة حجاج التشبيه: التقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى، فيدفع بخيال السامع للتفاعل مع النص للإقناع والتأثير.

١٣- الاستعارة أداة أساسية في الحجاج من حيث إنها صورة مجازية، والمجاز مرتبط بالحجاج بشكل مباشر، فالاستعارات في المقامة جمعت بين التزيين والحلية والإقناع والتأثير، وهي استعارات حققت الإقناع والتأثير، فالاستعارة مركز الحجاج لما لها في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، فأساس بلاغة الحجاج للاستعارة هي: إبراز وتأكيد المعاني للوصول إلى الإقناع والمعنى المقصود.

١٤- الاستعارة تبني على المسلمات حتى تقبل النتائج الناتجة عنها، فالاستعارة تهدف إلى الإقناع على توجه المتلقي للوجهة التي يريدها المتكلم لغرض التأثير.

١٥- الكناية ملمح حجاجي؛ لأنها بمثابة الدليل الذي يلجأ له المخاطب؛ لإثبات معانيه، وإقناعه، وهي تعتمد على ذكاء المتلقي، وسرعة فهمه؛ فبلاغة حجاج الكناية قائمة على الاقتناع والتأثير بجعل المعقول محسوساً والغائب مشاهدا.

١٦- والتعبير المجازي عامة والتشبيه خاصة له أثر في ترسيخ المعاني في النفس بصورة أكثر تأثير، فالمجاز بكل أنواعه قائم على الاستدلال بالمعنى على معنى آخر بالبرهان والبينة.

١٧- وظف الكاتب المحسنات البديعية للتأثير في المتلقي، وإقناعه وهذا هو غاية الحجاج، وجاءت المقابلة لتجعل المتلقي أمام صورتين متضادتين فاتضح الأمر، وأثرت في المتلقي ؛لذا كان للمقابلة دور حجاجي من خلال عقد المقارنات لاستدعاء المعاني للتأثير والإقناع في المتلقي.

١٨- وجاءت مراعاة النظير بصورة مطبوعة بعيدة عن التكلف، فظهرت دقة الخطيب في اختيار الألفاظ المتناسقة المتناسبة ؛لإيضاح المعنى ولإقناع المتلقي. تقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى. تقريب بين الصور بلا تفاوت لإيضاح المعنى.

١٩- جاء الجناس لإحداث إيقاع موسيقى لجذب المتلقي، واستمالته وللتأثير فيه ولإقناعه.

٢٠- بلاغة حجاج السجع من خلال الانسجام بين الطبقات الصوتية، وحقق جاء الجناس لإحداث إيقاع موسيقى لجذب المتلقي، واستمالته وللتأثير فيه ولإقناعه. متعة من خلال الفواصل فمهد الذاكرة لحفظ النص.

٢١- البديع ليس للزخرفة فقط بل إبلاغ الحجة والإقناع بمضمون الرسالة.

٢٢- اعتمد الكاتب على آليات الحجاج البلاغية؛ للتأثير في المتلقي وإقناعه.

وأخيراً فهذا بيان موجز لأهم ما توصلت إليه.

أرجو من الله - عز وجل – أن أكون وفقت، والحمد لله رب العالمين

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المصادر والمراجع

م	اسم المرجع	مؤلفه
١)	القرآن الكريم	
٢)	الاتقان في علوم القرآن	جلال الدين السيوطي، جـ١٠٩، كطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية
٣)	الإيضاح في علوم البلاغة	الخطيب القزويني
٤)	أسرار البلاغة	عبد القاهر الجرجاني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.
٥)	بديع الزمان الهمذاني رائد القصة	مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية٢٠٠٣ م.
٦)	البديع	عبد الله بن المعتز، تحقيق عرفان مطرجي، مطبعة الكتب الثقافية – بيروت.
٧)	البرهان في وجوه البيان	اسحاق بن وهب الكاتب
٨)	البلاغة العربية الأصول والامتدادات	د/ محمد العمري ط٢
٩)	البيان و التبين	الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي جـ١، ١٩٩٨م.
١٠)	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة	عبد المتعال الصعيدي
١١)	تلخيص السفطسة	أبو الوليد بن رشد
١٢)	خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني	أ./ محمد أبو موسى
١٣)	الحجاج في البلاغة المعاصرة	د/ محمد سالم محمد ألأمين – دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٨م.
١٤)	الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه	أ.د/ سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠٠٨م.

تابع المصادر والمراجع

م	اسم المرجع	مؤلفه
١٥)	دلائل الإعجاز	الإمام عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجة، القاهرة، ١٩٦٩م.
١٦)	العمدة	ابن رشيق ٢١٧/١
١٧)	الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها	أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي.
١٨)	الصناعتين	أبو هلال العسكري.
١٩)	العين	الخليل بن احمد الفراهيدي
٢٠)	فن المقامات بين المشرق والمغرب	يوسف نور عوض – دار القلم – بيروت – ١٩٧٩م.
٢١)	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر	لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٧ هـ – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت.
٢٢)	مدخل إلى الحجاج (أفلاطون وأرسطو)	د/ محمد المتولي – مجلة عالم الفكر – مجلد (٤٠) عدد (٢) – اكتوبر – سبتمبر – ٢٠١١م.
٢٣)	مصطلحات النقد العربي القديم	د/ أحمد مطلوب، ط١، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ١٩٩٨م.
٢٤)	مفتاح العلوم	السكاكي – بيروت – تحقيق نعيم زرزور.
٢٥)	مقايس اللغة	أحمد بن فارس بن زكريا – ط٢ – مصطفى البابي، تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٩٦٩م.
٢٦)	منهاج البلغاء وسراج الأدباء	حازم القرطاجني – تحقيق محمد الحبيب بن خوجه، تونس، ١٩٦٦م.
٢٧)	نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات	عبد الله صولة

الفهرس

م	الموضوعات	الصفحة
١-	المقدمة	١٤٤٩
٢-	المدخل	١٤٥١
٣-	المبحث الأول: بلاغة حجاج أساليب علم المعاني في المقامة العلمية.	١٤٦٦
٤-	المبحث الثاني: بلاغة حجاج التصوير البياني في المقامة العلمية.	١٤٧٤
٥-	المبحث الثالث: بلاغة حجاج المحسنات المعنوية واللفظية في المقامة العلمية.	١٤٨٤
٦-	الخاتمة.	١٤٩٠
٧-	المصادر والمراجع.	١٤٩٤